فوائد وتدبرات من التفسير

المقتطف من عيون التفاسير

لمصطفى الحصن المنصوري

رحمه الله ت ١٣٩٠هـ

انتقاء

الدكتور إبراهيم بن فرهيد العنزي

الجزء الأول:

١ - (بسم الله) الباء في بسم الله للملابسة عند صاحب الكشاف، وعند البيضاوي للاستعانة، والقول بالاستعانة أولى، إذ فيه من الأدب، وإظهار العبودية، ما ليس في المصاحبة، وهذا المعنى أمر به المسلم بقوله تعالى : (وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ)

سورة الفاتحة:

٢ - (الحمد لله رب العالمين (الرحمن الرحيم)) وإيرادهما ههنا يدل على أن التسمية ليست من الفاتحة، ولو كانت منها لما أعادهما.

٣ - في بناء (أنعمتَ) للفاعل: استعطاف، فكأن الداعي يقول: أطلب منك الهداية، إذ سبق إنعامك، فاجعل من إنعامك إجابة دعائنا.

سورة البقرة:

٤ - (الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون) تخصيص ما ذكر من الإيمان، والصلاة، والإنفاق، لإظهار شرفها على سائر ما انطوى تحت اسم التقوى من الحسنات.

٥ - (وَبِالْآخِرَةِ (هُمْ) يُوقِنُونَ) في تقديم الصلة تعريض بأهل الكتاب، فإن اعتقادهم في أمور الآخرة بمعزل من الصحة، فضلاً عن الوصول إلى مرتبة اليقين.

٦ - (أُولَئِكَ عَلَى هُدى مِّن رَبِّهِمْ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) إشارة إلى الذين حكيت خصالهم الحميدة، من حيث اتصافهم بها، وفيه دلالة على أنهم متميزون بذلك، منتظمون بسببه في سلك الأمور المشاهدة، وما فيه من معنى البعد للإشعار بعلو درجتهم في الصلاح، (على هدى) في تنكير (هدى) إشارة إلى عظمته، كأنه قيل: على هدى لا يبلغ كنهه، ولا يُقادر قدره، وإيراد كلمة (على) المفيدة للاستعلاء بناءً على

تمثيل حالهم في ملابستهم بالهدى بحال من يعتلي الشيء ويستولي عليه بحيث يتصرف فيه كيفما يريد.

٧ - **(وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون)** نفي الشعور نهاية الذم؛ لأن من لا يشعر البديهي المحسوس، مرتبته أدنى من مرتبة الحيوان.

٨ - **(مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا)** إيثار المشي على ما فوقه من السعي والعدو، للإشعار بعدم استطاعتهم له.. وإنما قال مع الإضاءة: **(كلما)**، ومع الإظلام: **(إذا)** لأنهم حراص على المشي، فكلما صادفوا فرصة انتهزوها.

٩ - والمسلمون في العصور الأخيرة صاروا وراء الأمم في العلوم الكونية، فجهلوا الأرض التي هم عليها، وضعفوا عن استخراج منافعها، فجاء الأجنبي يتخطفها من أيديهم وهم ينظرون، وكتابهم يصيح بهم منبها **(هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا)**!

١٠ - **(وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة..)** تعداد لنعمة ثالثة تعم الناس كلهم، فإن خلق آدم وتكريمه، وتفضيله على الملائكة بأن أمرهم بالسجود له إنعام يعم ذريته جميعا، فالإحسان إلى الأصل إحسان إلى الفرع ..

١١ - **(وقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ)** ولم يقل: إن لكما الجنة، لأن في علمه تعالى أنهما يخرجان منها، بسبب المخالفة، وقال للمؤمنين: إن لهم الجنة، لما لم يكن لهم خروج.. وتخصيص الخطاب بآدم عليه السلام، لأن المرأة تابعة للرجل في السكنى والمعيشة بمنطق الفطرة..

١٢ - **(وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون)** قال ابن كثير: ومن هاهنا تتبين فضيلة أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم، على سائر أصحاب الأنبياء في صبرهم وثباتهم وعدم تعنتهم، كما كانوا معه في أسفاره وغزواته، منها عام تبوك، في ذلك القيظ والحر الشديد والجهد، لم يسألوا خرق عادة، ولا إيجاد أمر، مع أن ذلك كان سهلا على الرسول صلى الله عليه وسلم..

١٣ - (فأنزلنا على الذين ظلموا رجزا ..) ولم يقل: فأنزلنا عليهم، وإنما قال: (على الذين ظلموا) زيادة في التقبيح، ومبالغة في الذم والتقريع، وتنكير (رجزا) للتهويل والتفخيم.

١٤ - (وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا..) لم يذكر هنا للناس، إشارة إلى العموم حتى الحيوانات والنباتات.

الجزء الثاني:

١٥ - (وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول..) أمر الله تعالى المؤمنين حين كانوا بمكة أن يتوجهوا إلى بيت المقدس ليتميزوا من المشركين، فلما هاجروا إلى المدينة أمروا بالتوجه إلى الكعبة ليتميزوا من اليهود.

١٦ - (كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون) إرسال الرسول، نعمة لا تكافئها نعمة، لما فيه من الشرف لهم، فإن البعثة منهم وفيهم أقرب إلى قبول قوله والانقياد له فيما كان سبباً لسعادة الدين والدنيا، (يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا) صفة ثانية للرسول، كاشفة لكمال النعمة، يعني القرآن، وذلك من أعظم النعم، وفيه إشارة إلى إثبات نبوته؛ لأن تلاوة الأمي الآيات الخارجة عن طوق البشر، واشتمالها على المصالح التي ينتظم بها أمر المعاش والمعاد، أقوى دليل على نبوته ..(وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ) صفة أخرى مترتبة في الوجود على التلاوة، وإنما وسط بينهما التزكية، للإيذان بأن كلًّا من الأمور المترتبة نعمة جليلة بانفرادها مستوجبة للشكر، وهو السر في التعبير عن القرآن تارة بالآيات، وأخرى بالكتاب، وثالثاً بالحكمة، رمزاً إلى أنه باعتبار كل عنوان نعمة على حدة..

١٧ - (أُوْلَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ) والآية كما ترى جامعة للكمالات الإنسانية بأسرها، دالة عليها تصريحاً أو تلويحاً، فإنها - بكثرتها - منحصرة في

ثلاثة أشياء : ١ - صحة الاعتقاد ٢ - وحسن المعاشرة - وتهذيب النفس، وقد أشير إلى الأول بقوله: (من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين) وإلى الثاني بقوله: (وآتى المال على حبه) وإلى الثالث بقوله: (وأقام الصلاة وآتى الزكاة).. إلى آخر الآية، ولذلك وصف المستجمع لها بالصدق نظراً إلى إيمانه، وبالتقوى اعتباراً بمعاشرته للخلق، ومعاملته مع الحق، ومن عمل بهذه الآية، فقد استكمل الإيمان.

١٨ - (وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان)، قال ابن كثير: والمراد من هذا: أنه تعالى لا يخيب دعاء داع، ولا يشغله عنه شيء، بل هو سميع الدعاء. وفيه ترغيب في الدعاء، وأنه لا يضيع لديه تعالى... وإنما وردت آية الدعاء ضمن آيات الصيام للتنبيه على أن هناك أوقاتا للإجابة .. منها عند فطر الصائم.

١٩ - (ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل) لما ذكر الله سبحانه الصيام، عقبه بالنهي عن أكل الحرام، المفضي إلى عدم قبول عبادته من صيامه واعتكافه.

٢٠ - (فهدى الله الذين آمنوا) بالكتاب (لما اختلفوا فيه) أي: للحق الذي اختلف فيه (من الحق) بيان لما اختلفوا فيه، وفي إبهامه أولا وتفسيره ثانيا ما لا يخفى من التفخيم.

٢١ - (ألا إن نصر الله قريب) في الآية إشارة إلى أن الوصول إلى نصرة الله والفوز بالكرامة، برفض الهوى واللذات، ومكابدة الشدائد والأهوال.

٢٢ - (الطلاق مرتان) مرتان أي: اثنان، وإيثار لفظ مرتان، للإيذان بأن حقهما أن يقعا مرة بعد مرة لا دفعة واحدة، والجمع بين تطليقتين وثلاثة بدعة في طهر واحد؛ لأن الله تعالى أمرنا بالتفريق.

٢٣ - (وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون) يفهمون ويعملون بمقتضى العلم، وتخصيصهم بالذكر للإشادة بهم؛ لأنهم المنتفعون بالمواعظ والتعاليم الإلهية.

٢٤ - (والوالدات يرضعن أولادهن) الحديث هنا عن الأمهات المطلقات بدليل السياق والسباق، والتعبير عنهن بالوالدات دون المطلقات لاستعطافهن نحو أولادهن، فلا

ينبغي أن يضيع الطفل نتيجة نزاع الوالدين وافتراق الزوجة والزوج، فليس للطفل جناية في هذا الأمر، فالمرأة وإن طلقت فهي والدة وأم، لا ينبغي أن تفرط في ولدها.

٢٥ - **(لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده)** فيه استعطاف لهما عليه، وتنبيه لهما على أن هذا الطفل جدير بأن يتفقا على استصلاحه والإشفاق عليه، فلا ينبغي أن يكون ضحية لنزاعهما.

٢٦ - **(حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى)** لعل الأمر بها في تضاعيف بيان أحكام الأزواج والأولاد، لئلا يلهيهم الاشتغال بشأنهم عنها.

الجزء الثالث:

٢٧ - **(يخرجهم من الظلمات إلى النور)** وحّد تعالى **النور** لوحدة الحق، وجمع **الظلمات** لتعدد فنون الظلالات، وإنما سمى الكفر بالظلمات لأن الظلمة تحجب الأبصار ، كذلك الكفر يحجب البصيرة.

٢٨ - **(يأتينك سعيا)** والحكمة في سعيهن دون الطيران؛ لأن ذلك أبعد من الشبهة؛ لأنها لو طارت لتوهم متوهم أنها غير تلك الطيور.

٢٩ - **(ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ)** وفائدة هذه الأخبار أن يبين للمؤمنين زيادة شرف الإيمان، حيث مدح به رسوله.

سورة آل عمران:

٣٠ - **(كل مِنْ عِندِ رَبِّنَا)** في التعبير بالرب إشارة إلى سر إنزال المتشابهات، والحكمة فيه، لما أنه متضمن معنى التربية والإيصال إلى معارج الكمال، وقد قالوا: إنما أنزل المتشابه لذلك، وليظهر فضل العلماء، ويزداد حرصهم على الاجتهاد في تدبره وتحصيل

العلوم التي نيط بها استنباط ما أريد به من الأحكام الفقهية فينالوا بذلك المدارج العالية، وذلك من التربية والإرشاد.

٣١ - **(فئة تقاتل في سبيل الله)** وهم المؤمنون، لكن ذكر مكانه من أحكام الإيمان: الجهاد في سبيل الله، مدحا لهم وإيذانا بأنه المدار في تحقيق النصر، **(وأخرى كافرة)** وإنما لم توصف هذه الفئة لإسقاطهم عن درجة الاعتبار.

٣٢ - **(قال رب هب لي ذرية)** طلبه بلفظ الهبة؛ لأن الهبة إحسان محض، وهو يناسب ما لا دخل فيه للوالد لكبر سنه ولا للوالدة لكونها عاقرا، فكأنه قال: أعطني ذرية من غير طريق معتاد.

٣٣ - **(فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب أن الله يبشرك بيحيى)** فيه تلميح أن في الصلاة إجابة الدعوات وقضاء الحاجات.

٣٤ - **(قال رب أنّا يكون لي غلام)** لم يخاطب الملَك المنادي له، بل جرى على نهج دعائه السابق، مبالغة في التضرع والمناجاة..

٣٥ - **(فأنفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله)** في هذه المعجزة مناسبة لخلقه بنفخة جبريل من غير أب.

٣٦ - **(فقل تعالوا ندعوا أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم..)** في تقديمهم على النفس مع أن الرجل يخاطر بنفسه من أجلهم، ويحارب دونهم، للإيذان بكمال أمنه صلى الله عليه وسلم عليهم، وأن لن يصيبهم شائبة من أذى لثقته بأنه على الحق.

٣٧ - **(بلى من أوفى بعهده واتقى فإن الله يحب المتقين)** هذه الآية من الجوامع، لأن الطاعة محصورة في أمرين: التعظيم لأمر الله، والشفقة على خلق الله، والوفاء بالعهد مشتمل عليهما..

الجزء الرابع:

٣٨ - **(ولله على الناس حج البيت)** لقد حازت الآية الكريمة كمال الاعتناء بأمر الحج، حيث أوثرت صيغة الخبر الدالة على التحقق، وأبرزت في صورة الجملة الاسمية الدالة على الثبات والاستمرار، وسلك فيها مسلك التعميم ثم التخصيص والإبهام ثم التبيين لما في ذلك من مزيد تحقيق وتقرير، وعبر عن تركه بالكفر وجعل جزاءه استغناءه تعالى، المؤذن بشدة المقت، وعظيم السخط، تنبيها على وجوبه وفرضيته.

٣٩ - **(يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ)** خطاب للأنصار على ما يقتضيه سبب النزول، ويدخل غيرهم من المؤمنين في عموم اللفظ، خاطبهم الله تعالى بنفسه، بعدما أمر رسوله بخطاب أهل الكتاب: إظهاراً لجلالة قدرهم، وإشعاراً بأنهم هم الأحقاء بأن يخاطبهم الله تعالى.

٤٠ - **(ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير)** أمرهم سبحانه بتكميل الغير، بعدما أمرهم بتكميل النفس ليكونوا هادين مهديين، على ضد أعدائهم..

٤١ - **(يتلون آيات الله آناء الليل وهو يسجدون)** أي يصلون، عبر عن تهجدهم بتلاوة القرآن؛ لأن التلاوة أهم الأركان في صلاة القيام، حيث تطول الصلاة لطول القراءة، وأقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، ولهذا قال: **(وهم يسجدون)**.

٤٢ - **(ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم)** في التعبير بعنوان الربوبية لإظهار العناية بهم، والإشعار بعلة الإمداد.

٤٣ - **(واتقوا الله لعلكم تفلحون)** راجين للفلاح، واقتران الرجاء بالتقوى، يفيدان أن يكون العبد بين الخوف والرجاء، فهما جناحان يطير العبد بهما في منازل القدس ومعارج الفضل والكمال.

٤٤ - **(واتقوا النار التي أعدت للكافرين)** فيها إشارة إلى أن أكلة الربا على شفا حفرة الكفر، وفيها تنبيه على أن النار بالذات معدة للكفار، وبالعرَض للعصاة، وقال أبو

حنيفة رحمه الله: هي أخوف آية في القرآن، حيث أوعد الله المؤمنين بالنار المعدة للكافرين.

٤٥ - (الذين ينفقون في السراء والضراء) صفة مادحة للمتقين، ومفعول (ينفقون) محذوف ليتناول كل ما يصلح للإنفاق ... وافتتح بذكر الإنفاق لأنه أشق شيء على النفس، وأدله على الإخلاص، ولأنه كان في ذلك الوقت أعظم الأعمال للحاجة إليه.. ويدخل فيه إنفاق العلم..

٤٦ - (فبما رحمة من الله لنت لهم) أي: كنتَ لين الجانب لهم، وعاملتهم بالرفق والتلطف بعدما كان منهم ما كان، أفاد الكلام فائدتين: إحداهما: شجاعته صلى الله عليه وسلم، والثانية: رفقه، حيث ثبت حتى كر عليه أصحابه، ثم ما زجرهم ولا عنفهم على الفرار، بل آساهم في الغم..

٤٧ - (الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون..) قدم الذكر على التفكر للتنبيه على أن العقل لا يفي بالهداية ما لم يتنور بنور ذكر الله.

سورة النساء:

٤٨ - (ومن يعص الله ورسول ويتعد حدوده يدخله نارا..) في ختم آيات المواريث بهذه الآية، إشارة إلى عظم أمر الميراث، ولزوم الاحتياط، وعدم الظلم فيه.

الجزء الخامس:

٤٩ - **(واسألوا الله من فضله)** قال ابن عطية: لم يأمر سبحانه بالسؤال إلا ليعطي.

٥٠ - **(إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما)** فيه تنبيه على أن من أصلح نيته فيما يتحراه، أصلح الله مبتغاه، وعدم التعرض لذكر الفراق للإيذان بأن ذلك ليس مما ينبغي أن يحدث صدوره عنهما، وأن الذي يليق بشأنهما هو إرادة الإصلاح.

٥١ - **(ياأيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ولا جنبا إلا عابري سبيل حتى تغتسلوا...)** في الآية الكريمة رمز إلى أنه ينبغي للمصلي أن يتحرز عما يلهيه ويشغل قلبه، وأن يزكي نفسه عما يدنسها، لأنه إذا وجب تطهير البدن فتطهير القلب عن خاطر غير طاهر أولى.

٥٢ - **(ومن يقاتل في سبيل الله فيُقتل أو يَغلب ..)** إنما قال: **(فيُقتل أو يَغلب)** للتنبيه على أن المجاهد ينبغي أن يثبت في المعركة وأن لا يكون قصده بالذات إلى القتل، بل إلى إعلاء الحق، وإعزاز الدين، ولا يحدث نفسه بالهرب، ولذا لم يقل: فيُغلب أو يَغلب.

٥٣ - **(الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها)** وصف للقرية، إلا أنه أسند إلى أهلها، فوقِّرت عن نسبة الظلم إليها تشريفا لها.

٥٤ - **(وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة إلى أهله)** استدل بالآية على أن دية الذمي كدية المسلم.. وهذا منتهى العدالة والاعتراف بالمواثيق العهود.

٥٥ - **(يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم)** كفى بهذه الآية ناعية على الناس ما هم فيه من قلة الحياء والخشية.

٥٦ - **(وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما)** هذا من أعظم الدلائل على أن العلم أشرف الفضائل؛ لأن الفضل العظيم كان بتعليم العلم.

٥٧ - **(ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا)** إنما جعل الجزاء ههنا: **(فقد ضل)** وفيما تقدم: **(فقد افترى)** لما أن تلك كانت في أهل الكتاب، وهو مطلعون من كتبهم على صحة أمر الرسول صلى الله عليه وسلم، ومع ذلك كفروا، فصار ذلك افتراء واختلافا على الله تعالى، وهذه الآية في أناس لم يعلموا كتابا، ولا عرفوا من قبل وحيا، فأشركوا وضلوا مع وضوح الحجة، وكان ضلالا بعيدا.

٥٨ - **(أن يصلحا بينهما صلحا)** ذكر (**بينهما**) تنبيها على أنه ينبغي أن لا يطلع الناس على ما بينهما.

٥٩ - **(فإن كان لكم فتح من الله قالوا ألم نكن معكم وإن كان للكافرين نصيب)** سمى ظفر المسلمين (**فتحا**): تعظيما لشأنهم، ولتضمنه إعلاء كلمة الله، ونصرة الدين، وظفر الكافرين (**نصيبا**) تخسيسا لحظهم؛ لأنه مقصور على أمر دنيوي سريع الزوال.

٦٠ - **(وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى)** استدل بالآية على استحباب دخول الصلاة بنشاط.

الجزء السادس:

٦١ - **(إن تبدوا خيرا أو تخفوه أو تعفوا عن سوء فإن الله كان عفوا قديرا)** حث للمظلوم على تقديم العفو، بعدما رخص له في الانتصار حملا على مكارم الأخلاق، ففي هذه الألفاظ اليسيرة معان كثيرة؛ لأن جميع الخيرات تنحصر في قسمين: أحدهما: صدق النية والعمل مع الحق، والثاني: التخلق بحسن الخلق مع الخلق، فتدخل في هذه الكلمات.

٦٢ - **(والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة) (والمقيمين الصلاة)** نصب على المدح، أي: أخص بالذكر المقيمين الصلاة منهم، والنصب على المدح لا يأتي في كلام البليغ إلا لنكتة، والنكتة ههنا مزية الصلاة، وكون إقامتها آية كمال الإيمان.

٦٣ - **(سبحانه أن يكون له ولد له ما في السماوات وما في الأرض وكفى بالله وكيلا)** تنبيه على غناه عن الولد، فإن الحاجة إليه ليكون وكيلا لأبيه، والله سبحانه قائم بحفظ الأشياء مستغن عمن يخلفه أو يعينه.

سورة المائدة:

٦٤ - **(اعدلوا هو أقرب للتقوى)** إذا كان هذا العدل مع الكفار، فما ظنك بالعدل مع المؤمنين؟

٦٥ - **(ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم)** إنما نسب تسميتهم نصارى إلى أنفسهم، دون أن يقال: ومن النصارى، إيذانا بأنهم في قولهم: "**نحن أنصار الله**" بمعزل من الصدق، إنما هو تقوّل محض منهم، وليسوا من نصرة الله في شيء، فإن ادعاءهم لنصرته تعالى، يستدعي ثباتهم على طاعته سبحانه ومراعاة ميثاقه.

٦٦ - **(قال ياويلتا أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوءة أخي فأصبح من النادمين)** والعبرة في الآية أن الحسد كان منار أول جناية من البشر، ولا يزال هو الذي يفسد على الناس أمر اجتماعهم، وينغص عليهم عيشهم.

٦٧ - (من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل..) (ذلك) إشارة إلى عظم شأن القتل، وإفراط قبحه... (على بني إسرائيل) خصهم بالذكر لما أن الحسد كان منشأ لذلك الفساد، وهو غالب عليهم، ولأن التوراة أول كتاب نزل فيه تعظيم القتل ومع ذلك كانوا أشد طغيانا فيه، حتى قتلوا الأنبياء عليهم السلام.

٦٨ - (فإن جاءوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم (وإن تعرض عنهم) فلن يضروك شيئا وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط) تقديم حال الإعراض للمسارعة إلى بيان أنه لا ضرر فيه، حيث كان مظنة الضرر، لما أنهم إذا أعرض عنهم شق ذلك عليهم فتشتد عداوتهم فأمّن الله تعالى رسوله بقوله: (فلن يضروك).

٦٩ - (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) في الآية أشد تحذير، حيث علق الحكم بالكفر بمجرد ترك الحكم بما أنزل الله تعالى، فكيف وقد انضم إليه الحكم بخلافه.

٧٠ - (إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا) إنما قال: (وليكم الله) ولم يقل: أولياؤكم، للتنبيه على أن الولاية لله على الأصالة، ولرسوله وللمؤمنين على التبع.

٧١ - (ياأيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم) التعرض لعنوان إيتاء الكتاب؛ لبيان شناعتهم، لما أن إيتاء الكتاب وازع لهم عن الاستهزاء بالدين، المؤسس على الكتاب المصدق لكتابهم.

٧٢ - (لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ (لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ)) وهذا أبلغ مما تقدم من الفعل والعمل لما تقرر في اللغة، أن الفعل ما صدر عن الإنسان مطلقاً، فإن كان عن قصد سمي عملاً، ثم إن حصل بمزاولة وتكرر حتى رسخ وصار ملكة له، سُمّي صُنعاً وصنعة، فلذا كان الصنع أبلغ، لاقتضائه الرسوخ، ففي الآية إشارة إلى أن ترك النهي أقبح من الارتكاب.

الجزء السابع:

٧٣ - **(ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون)** في الآية دليل على أن التواضع والإقبال على العلم، والإعراض عن الشهوات محمودة أينما كانت، لاسيما ممن ينتسب إلى العلم والدين.

٧٤ - **(إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر...)** تخصيصهما بالذكر للتنبيه على أن المقصود بيان حالهما، وذكر الأصنام والأزلام للدلالة على أنهما مثلهما في الحرمة والشر، وقوله: **(ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة)** تخصيص الصلاة بالإفراد مع دخولها في الذكر للتعظيم، وللإشعار بأن الصاد عنها كالصاد عن الإيمان لما أنها عماد الدين..

٧٥ - **(أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون)** فائدة التعجيب المبالغة في الإنكار، ودلت الآية أن الاقتداء إنما يصح بمن عُلم أنه عالم مهتد.

٧٦ - **(يوم يجمع الله الرسل)** تخصيص الرسل بالذكر لبيان شرفهم وفضلهم، وتعظيم شهادتهم، فالشهود في الآخرة رسل الله المكرمون، وأما الحشر فلجميع الخلائق..

سورة الأنعام:

٧٧ - **(وَإِن يَمْسَسْكَ الله بضر فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هو وإن يمسسك بخير فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)** ومن دقائق بلاغة القرآن المقابلة بين الضر والخير، والنكتة فيه أن الضر من الله تعالى ليس شراً في الحقيقة بل هو تربية واختبار، ثم ذكر الخير في مقابلة الضر، فأفاد أن ما ينفع الناس من النعم، إنما يحسن إذا كان خيراً لهم، وقدم الضر إيذاناً على أن المضرة يعقبها الخير والسلامة.

٧٨ - (ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد..) جواب "لو" محذوف: إيذاناً بقصور العبارة عن تفصيله، أي: لو تراهم حين يوقفون على النار لرأيت ما لا يسعه التعبير، وصيغة الماضي للدلالة على التحقق.

٧٩ - (فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون) فيها بيان لبلوغه صلى الله عليه وسلم في جلالة القدر غاية ليس وراءها غاية، حيث نفى تكذيبهم له صلى الله عليه وسلم وأثبته لآياته، على طريقة قوله تعالى: (إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله) إيذانا بكمال القرب، واضمحلال شؤونه صلى الله عليه وسلم في شأن الله عز وجل، وفيه استعظام جنايتهم، كأنه قيل: لا تعتد به وكله إلى الله تعالى، فإنهم في تكذيبهم ذلك لا يكذبونك في الحقيقة (ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون) .. وإيراد الجحود في موضع التكذيب للإيذان بأن آيات الله تعالى من الوضوح بحيث يشاهد صدقها كل أحد وأن من ينكرها إنما ينكرها بطريق الجحود الذي هو عبارة عن الإنكار مع العلم بخلافه.

٨٠ - (وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا) وصفوا بالإيمان كما وصفوا بالإخلاص، تنبيها على إحرازهم لفضيلتي: العلم، والعمل، ومن كان كذلك ينبغي أن يقرب ولا يطرد، ويعز ولا يذل، ويبشر من الله بالسلامة في الدنيا والرحمة في الآخرة.

٨١ - (فلما رءا الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر..) إنما لم يؤنث لصيانة الرب من وصمة التأنيث؛ ولأن الشمس تأنيثها غير حقيقي، (هذا أكبر) تأكيد لما رامه من إظهار النصَّفَة، مع إشارة خفية إلى فساد دينهم من جهة أخرى ببيان أن الأكبر أحق بالربوبية من الأصغر..

٨٢ - (وحاجّه قومه قال أتحاجوني في الله وقد هدان ولا أخاف ما تشركون به إلا أن يشاء ربي شيئا وسع ربي كل شيء علما أفلا تتذكرون) أي أتعرضون عن التأمل في أن آلهتكم بمعزل عن القدرة.. وفي إيراد التذكر دون التفكر، إشارة إلى أن أمر آلهتهم مركوز في العقول، لا يتوقف إلا على التذكير.

الجزء الثامن:

٨٣ - (ولو شاء ربك ما فعلوه) إنما قال هنا: (ولو شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ) وفيما يأتي: (ولو شَاء الله مَا فَعَلُوهُ) فغاير بين الاسمين، فهذه الآية من عداوتهم له التي لو شاء منعهم عنها، ويقتضى ذكره جل شأنه بهذا العنوان، إشارة إلى أنه تعالى مربيه، وهو في كنف حمايته، وأما الآية الأخرى - ١٣٧ - فذكر قبلها إشراكهم فناسب ذكره عزّ اسمه بعنوان الألوهية، التي تقتضي عدم الإشراك..

٨٤ - (وقالوا ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا) استدل بالآية على أنه لا يجوز الوقف على أولاده الذكور دون الإناث، وأن ذلك الوقف يفسخ ولو بعد موت الواقف..

٨٥ - (وبالوالدين إحسانا) السر في الأمر بالإحسان: المبالغة والدلالة على أن ترك الإساءة إليهما غير كاف في قضاء حقوقهما، ولهذا لم يقل: ولا تسيئوا إليهما.

سورة الأعراف:

٨٦ - (وكم مِّن قرية أَهْلَكناها فجاءها بأسنا بياتا أو هُم قَائلُونَ) تخصيص الحالتين بالعذاب، لما أن نزول المكروه عند الغفلة أفظع وحكايته للسامعين أزجر وأردع، فلا ينبغي للعاقل أن يأمن صفو الليالي، ولا يَغْتَر بالأيام الخوالي، وفيه إشارة إلى أنهم أرباب أشر وبطر، لأن القيلولة أظهر في إرادة الدعة، وخفض العيش، فإنها من دأب المترفين، دون من اعتاد الكدح والتعب في النهار.

٨٧ - (قال اهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها) فيه تنبيه على أن التكبر لا يليق بأهل الجنة، وأنه تعالى طرده لتكبره لا لمجرد عصيانه، ولا يخفى لطافة التعبير به دون الخروج في مقابلة قوله: (أنا خير منه).

٨٨ - (فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ماووري عنها من سوآتهما) فيه دليل على أن كشف العورة من غير حاجة قبيح ومستهجن في الطبع.

٨٩ - **(إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم)** قال ذو النون: إن كان الشيطان يراك من حيث لا تراه، فاستعن بمن يراه من حيث لا يراه، وهو الله البصير..

٩٠ - **(أن تلكم الجنة أورثتموها)** سماها ميراثا؛ لأنها لا تستحق بالعمل، بل هي محض فضل الله كالميراث.

٩١ - **(واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد..)** أي خلفاء الأرض، ولم يقل: خلفاء عاد مع أنه أخصر، إشارة إلى أن بينهما زمانا طويلاً.

الجزء التاسع:

٩٢ - (وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء) تقديم الموعظة لأنها الأساس في صلاح الإنسان، فالاهتمام بها أشد، والعناية بها أتم، ألا ترى أن أكثر الفواصل في الكتاب العزيز جاء على هذا النمط، نحو قوله سبحانه: (أفلا تتقون)، وقوله: (أفلا تذكرون)، واستمع إلى سورة الرحمن، وقد تمرر فيها قوله سبحانه: (فبأي آلاء ربكما تكذبان) ثلاثين مرة، وذلك ليألف السامع اتعاظا وادكارا، ويجد فيها تنبيها واعتبارا.

٩٣ - (ولما سكت عن موسى الغضب) في هذا النظم الكريم من البلاغة والمبالغة ما فيه، فقد شبه الغضب بشخص يرعد ويزمجر، ويريد أن يبطش بخصمه، وصوته يرتفع يريد الانتقام، ثم اختفى هذا الصوت وسكت.

٩٤ - (قال عذابي أصيب به من أشاء ورحمتي وسعت كل شيء) في نسبة الإصابة إلى العذاب بصيغة المضارع، ونسبة سعة الرحمة بصيغة الماضي، إيذان بأن الحمة مقتضى الذات، وأما العذاب فبمقتضى معاصي العباد.

٩٥ - (وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون) استدل بالآية على صحة الإجماع.

سورة الأنفال:

٩٦ - (فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين) ذكر الاسم الجليل في الأمرين لتربية المهابة، وتعليل الحكم، وذكر الرسول صلى الله عليه وسلم مع الله تعالى لتعظيم شأنه وإظهار شرفه والإيذان بأن طاعته طاعة لله عز وجل (إن كنتم مؤمنين) أي كاملي الإيمان، فإن كمال الإيمان بهذه الثلاثة: طاعة الأوامر، والانتهاء عن المعاصي، وإصلاح ذات البين.

٩٧ - (وليربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام) أتى بـ "على" قصدا للاستعلاء، وفيه إيماء أن قلوبهم قد امتلأت من ذلك حتى كأنه علا عليها، وفي ذلك من إفادة التمكين ما لا يخفى.

٩٨ - (إذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار) عدل عن لفظ الظهر إلى الأدبار، تقبيحا للانهزام.

٩٩ - (واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه) فيها تنبيه على أنه تعالى مطلع على مكنونات القلوب، وحث على المبادرة إلى إخلاص القلوب وتصفيتها قبل أن يحول الله بينه وبين قلبه بالموت أو غيره.

الجزء العاشر:

١٠٠ - **(ياأيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون)** فيه تنبيه على أن العبد ينبغي ألا يشغله شيء عن ذكر الله.

١٠١ - **(ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم وذوقوا عذاب الحريق)** التعبير بـ **(ذوقوا)** فيه نكتة أخرى، وهي أنه قليل من كثير، وأنه مقدمة، وبهذا الاعتبار يكون في المبالغة، وجواب **(لو)** محذوف، أي: لرأيت أمرا فظيعا لا يكاد يوصف.

سورة التوبة:

١٠٢ - **(إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين)** إبراز اهتدائهم مع ما بهم من الصفات الحسنة في معرض التوقع، لقطع أطماع الكفرة، فإن المؤمنين مع ما بهم من هذه الكمالات، إذا كان أمرهم دائرا بين "**لعل**" و"**عسى**"، فما بال الكفرة، وهم على ما عليه من الكفر والإجرام؟ وفي الآية لطف بالمؤمنين وترغيب لهم في ترجيح جانب الخوف على جانب الرجاء، ومنع لهم أن يغتروا بأحوالهم ويتكلوا عليها.

١٠٣ - **(يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان)** في التعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميرهم وكونه سبحانه هو المبشر ما لا يخفى من اللطافة واللطف..

١٠٤ - **(فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم)** خصت هذه بالذكر لأن غرض الكانزين من الكنز أن يكونوا ذوي وجاهة، وأن يتنعموا بالمطاعم الشهية، والملابس البهية، فلوجاهتهم كان الكي بجباههم، ولامتلاء جنوبهم بالطعام كووا عليها، ولما لبسوا من فاخر الثياب كويت بها ظهورهم، وقيل: لأنهم إذا رأوا الفقير أعرضوا عنه وطووا كشحا ولووا ظهورهم فلذلك كويت الجباه والبطون والظهور.

١٠٥ - (قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع) في إيثار (لا أجد) على ليس عندي، من تلطيف الكلام، كأنه صلى الله عليه وسلم يطلب ما يسألونه على الاستمرار فلا يجده.. (تفيض من الدمع) أبلغ من يفيض دمعها؛ لأنه يدل على أن العين صارت دمعا فياضا.

الجزء الحادي عشر:

١ - روي عن حميد بن زياد قال: قلت يوما لمحمد بن كعب القرظي، ألا تخبرني عن الصحابة فيما كان بينهم من الفتن؟ فقال لي: إن الله تعالى قد غفر لجميعهم، وأوجب لهم الجنة في كتابه، محسنهم ومسيئهم، فقلت له: وفي أي موضع أوجب لهم الجنة؟ فقال: سبحان الله!! ألم تقرأ قوله تعالى: (وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ..)

٢ - (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة) قال الحسن: بايعهم فأغلى لهم الثمن، وانظروا إلى كرم الله، أنفساً هو خلقها، وأموالاً هو رزقها، ثم وهبها لهم، ثم اشتراها منهم بهذا الثمن الغالي، فإنها لصفقة رابحة.

٣ - (ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله..) دلت هذه الآية على أن من قصد طاعة، كان قيامه وقعوده، وحركته وسكونه، كلها حسنات مكتوبة عند الله تعالى.

٤ - (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم..) فيه دليل على أن التفقه والتذكير من فروض الكفاية، وأنه ينبغي أن يكون غرض المتعلم فيه أن يستقيم ويقيم، لا الترفع على الناس..

٥ - (بالمؤمنين رؤوف رحيم) لم يجمع هذان الاسمان لغيره صلى الله عليه وسلم.

سورة يونس:

٦ - **(ذلكم الله ربكم فاعبدوه أفلا تذكرون)** إيثار **(تذكرون)** على تفكرون للإيذان بظهور الأمر، وأنه كالمعلوم الذي لا يفتقر إلى تفكر، بل إلى مجرد إخطار على الذهن.

٧ - **(وإذا أذقنا الناس رحمة من بعد ضراء مستهم)** إسناد المس إلى الضراء، وإسناد الإذاقة إلى ضمير الجلالة، من الآداب القرآنية، كما في قوله: **(وإذا مرضت فهو يشفين)**.

٨ - **(فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرءون الكتاب..)** فيه تنبيه على أنه من خالجته شبهة في الدين، ينبغي أن يسارع إلى حلها بالرجوع إلى أهل العلم.

الجزء الثاني عشر:

٩ - **(ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات)** في التعبير عن ملابسة الرحمة والنعماء بالذوق، وعن ملابسة الضراء بالمس المشعر بكونها في أدنى الأمور والمصائب اليسيرة، مما يدل على أن مراده تعالى إنما هو إيصال الخير، وإنما يريد بعباده اليسر دون العسر..

١٠ - **(إني أخاف عليكم عذاب يوم أليم)** وصف العذاب بالأليم، أي: المؤلم للمبالغة، فكأن العذاب نفسه يتألم من شدته.

١١ - **(قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك)** قال محمد القرظي: "دخل في ذلك السلام والبركات كل مؤمن ومؤمنة إلى يوم القيامة..."، وقال الحسن: "ما زال الله تعالى يأخذ لنا بسهمنا، كلما هلكت أمة خلقنا في أصلاب من ينجو بلطفه، حتى جعلنا في خير أمة أخرجت للناس"، وههنا لطيفة وهي أنه قد تكرر في هذه الآية حرف واحد وهو الميم مرات مع غاية اللطف .. فلله تعالى شأن التنزيل ما أكثر لطائفه.

١٢ - **(فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها)** وما أعظم حكمة الله تعالى في هذا القلب، الذي هو أشبه شيء بما كانوا عليه..

١٣ - **(قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي ورزقني منه رزقا حسنا وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه)** لم يتعرض عليه السلام صريحا لرد قولهم المتضمن لرميه –وحاشاه - بالوسوسة والجنون والسفه، إيذانا بأن ذلك مما لا يستحق جوابا لظهوره.

١٤ - **(فاستقم كما أمرت)** في الآية دلالة على وجوب اتباع المنصوص عليه، من غير انحراف بمجرد الرأي وإعمال العقل الصرف، فإن ذلك طغيان وضلال.

١٥ - **(واصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين)** من الأسرار العجيبة في البلاغة القرآنية أن الأوامر بأفعال الخير أفردت للنبي صلى الله عليه وسلم كقوله: **(وأقم الصلاة) (ادع إلى سبيل ربك)**، وإن كانت عامة في المعنى والمناهي جمعت للأمة، كقوله: **(ولا تركنوا إلى الذين ظلموا)** وقوله: **(ولا تطغوا)**، وما أعظم شأن الرسول صلى الله عليه وسلم عند ربه جل جلاله، حيث دفع عنه ما يوهم البغي والطغيان.

١٦ - **(وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون)** هذه الآية وما في معناها من قواعد علم الاجتماع البشري، وهو العلم بسنن الله عز وجل، في قوة الأمم وضعفها، وبدأ ابن خلدون فجعله علما مدونا، ولكن استفاد غير المسلمين مما كتبه في ذلك، ووسعوه، فكان من العلوم التي سادوا بها على المسلمين الذين لم يستفيدوا من هداية القرآن العظيم..

سورة يوسف:

١٧ - **(وقال الذي اشتراه من مصر لامرأته أكرمي مثواه)** عن عبد الله بن مسعود أنه قال: أفرس الناس ثلاثة: العزيز حين تفرس في يوسف، فقال لامرأته: **(أكرمي مثواه)**،

والمرأة التي أتت موسى فقالت لأبيها: (يا أبت استأجره)، وأبو بكر حين استخلف عمر رضي الله عنهما.

الجزء الثالث عشر:

١٨ - (قال اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم) فيه دليل على جواز طلب الولاية إذا كان الطالب ممن يقدر على إقامة العدل، وإجراء أحكام الشريعة.. وفيه أيضا دليل على جواز مدح الإنسان نفسه بالحق، إذا جُهل أمره.

١٩ - قوله: (قال معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده) دون من سرق، لتحقيق الحق، والاحتراز من الكذب في الكلام، والمتاع: اسم لما ينتفع به.. وما ألطف استعماله مع الأخذ المراد به الاسترقاق.

٢٠ - (فصبر جميل عسى الله أن يأتيني بهم جميعا) إنما قال هذا؛ لأنه لما طال حزنه، واشتد بلاؤه، علم أن الله سيجعل له فرجا عن قريب؛ لأنه إذا اشتد البلاء وعظم، كان أسرع إلى الفرج.

٢١ - (وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن) ولم يصرّح بقصة الجُب حذرا من خجل إخوته.

سورة الرعد:

٢٢ - (والذي أُنزل إليك من ربك الحق) التعرض لوصف الربوبية مضافا إلى ضميره صلى الله عليه وسلم من الدلالة على فخامة المنزّل، وتشريف المنزل إليه مما لا يخفى.

٢٣ - (هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا) تقديم الخوف؛ لما أن المخوف عليه النفس، والمطموع فيه الرزق المرتقب.

٢٤ - (الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب) العدول إلى صيغة المضارع لإفادة دوام الاطمئنان وتجدده، بحسب تجدد المنزل من الذكر.. وفيه إشعار بأن الكفرة ليست لهم قلوب معتبرة حيث لم يطمئنوا بذكر الله.

سورة إبراهيم:

٢٥ - (يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم) أي بعضها.. ولم تجيء مع (من) إلا في خطاب الكافرين، وقال تعالى في خطاب المؤمنين: (يغفر لكم ذنوبكم) وذلك للتفريق بين الخطابين، فالمؤمنون تغفر لهم جميع ذنوبهم تفضلا وكرما.

٢٦ - (فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون) قيل: لو قال: أفئدة الناس، لازدحمت عليهم الناس، وأهل فارس والروم.. واستدل به على أن تحصيل منافع الدنيا إنما هي للاستعانة بها على أداء العبادات.

الجزء الرابع عشر:

سورة الحجر:

٢٧ - (فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه) أبلغ من: سقيناكم؛ لما فيه من الدلالة على جعل الماء معدا لهم ينتفعون به متى شاؤوا، يقال: سقيته إذا كان بيدك، وأسقيته إذا جعلته له سقيا.

٢٨ - (قال فاخرج منها فإنك رجيم) كأنه قيل: عن المانع ملك عن السجود شقاوتك وبعدك عن الخير، لا شرف عنصرك الذي تزعمه، وفي تفسير (الرجيم) بالمرجوم بالشهب، إشارة لطيفة إلى أن اللعين لما افتخر بالنار، عذب بها في الدنيا فهو "كعابد النهار يهواها وتحرقه".

٢٩ - (نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم ❖ وأن عذابي هو العذاب الأليم) في توصيف ذاته تعالى بالرحمة والمغفرة، دون التعذيب، حيث لم يقل: وإني أنا المعذب المؤلم، ترجيح لجانب الوعد على الوعيد، ويقوي أمر الترجيح الاتيان بالوصفين بصيغتي المبالغة.

٣٠ - عن ابن عباس، أنه قال: ما خلق الله وما ذرأ وما برأ نفسا أكرم عليه من محمد صلى الله عليه وسلم، وما سمعت الله أقسم بحياة أحد غيره، قال الله تعالى: (لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون).

٣١ - (إنا كفيناك المستهزئين ❖ الذين يجعلون مع الله إلها آخر) وصفهم بذلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم بإعلامه أنهم لم يقتصروا على الاستهزاء به صلى الله عليه وسلم بل اجترؤوا على العظيمة التي هي الشرك بالله تعالى.

٣٢ - (فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين) في أمره صلى الله عليو سلم بما ذكر: إرشاد إلى ما يكشف به الغم الذي يجده، ولمزيد الاعتناء بأمر الصلاة جيء بالأمر بها، وقد كان صلى الله عليه وسلم إذا أحزنه أمر فزع إلى الصلاة، وفي الآية إشارة إلى الترغيب بالجماعة فيها.

سورة النحل:

٣٣ - (ثم إذا كشف الضر عنكم إذا فريق منكم بربهم يشركون) التعرض لوصف الربوبية، للإيذان بكمال قبح ما ارتكبوه من الإشراك والمفران بالمنعم المتفضل جل وعلا.

٣٤ - (لبنا خالصا سائغا للشاربين) قيل: إنه لم يغص أحد باللبن قط.

٣٥ - (فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم) تخصيص قراءة القرآن من بين الأعمال الصالحة بالاستعاذة، للتنبيه على أهمية القرآن وعظم شأنه، ليستنير بنوره، ويدفع عنه وساوس الشيطان.

الجزء الخامس عشر:

سورة الإسراء:

٣٦ - (سبحان الذي أسرى بعبده ليلا) إيثار لفظ "العبد" للإيذان بتمحضه صلى الله عليه وسلم في عبادته سبحانه وتعالى، وبلوغه في ذلك غاية الغايات، حسبما يلوح به مبدأ الإسراء ومنتهاه، (ليلا) ..يدل التنكير على تقليل مدة الإسراء، وأنه تعالى أسرى به في بعض الليل لا في كله.

٣٧ - (لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير) وفيه إيماء إلى أن الإسراء ليس إلا لتكرمته ، ورفع منزلته، وإلا فالإحاطة بأقواله وأفعاله حاصلة من غير حاجة إلى التقريب، والالتفات إلى الغيبة لتربية المهابة .. **حكمة الإسراء**: كان قد ذهب إلى الطائف يدعو أهلها إلى الإسلام، فما أحسنوا استقباله بل أساؤوا إليه، فرجع حزيناً إلى مكة لوقوف قريش بالمرصاد في طريق رسالته، فكأنما طاف بنفسه وروحه العالية، وكأنما رأى أنه محوط بأعداء الإسلام من كل جانب، مع قلة أنصاره، فكان في حالة لا يمكن التعبير عنها بالقلم، لشدة حرصه على خير العالم، وعظيم شوقه إلى انتشار الإسلام، وحينئذ كان الإسراء والمعراج، ليبشره الله تعالى عملياً بما يزيل من نفسه عوامل الحزن والأسف..

٣٨ - (واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا) لقد بالغ عزّ وجل في التوصية بهما، حيث افتتحها بأن شفع الإحسان إليهما بتوحيده سبحانه، ونظمهما في سلك القضاء بهما معاً، ثم ضيق الأمر في باب مراعاتهما حتى لم يرخص في أدنى كلمة تنفلت من المتضجر، مع ما له من موجبات الضجر، وختمها بأن جعل رحمته التي وسعت كل شيء مشبهة بتربيتهما.. سئل سفيان كم يدعو الإنسان لوالديه؟ فقال : نرجو أن يجزيه إذا دعا لهما في أواخر التشهدات.

٣٩ - (ومن يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد لهم أولياء من دونه) أوثر ضمير الجماعة باعتبار المعنى للفظ "من" في مقابلة الإفراد، نظرا إلى لفظهما، تلويحا بوحدة طريق الحق، وقلة سالكيه، وتعدد سبيل الضلال وكثرة الضالين.

سورة الكهف:

٤٠ - (الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب) إيذان بعظم التنزيل الجليل، إذ عليه يدور فلك سعادة الدارين، وفي التعبير عن الرسول صلى الله عليه وسلم بالعبد، تشريف له وتكريم، لأنه أعلى مراتب الفخار.

٤١ - (قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا) فيه دليل على أنه لا ينبغي لأحد أن يترك طلب العلم، وإن كان قد بلغ نهايته، وأن يتراجع لمن هو أعلم منه.

الجزء السادس عشر:

٤٢ - (وكان أبوهما صالحا) تدل على أن صلاح الآباء يفيد العناية بأحوال الأبناء.

٤٣ - (خالدين فيها لا يبغون عنها حولا) أي لا يطلبون التحول عنها؛ إذ لا يتصور أن يكون شيء أعز عندهم منها حتى تنازعهم إليه أنفسهم، وهذا الوصف يدل على غاية الكمال؛ لأن الإنسان في الدنيا إذا وصل إلى أي درجة من السعادة فهو طامع إلى ما هو أعلى منها.

سورة مريم:

٤٤ - (إذ نادى ربه نداء خفيا) قد راعى عليه السلام حسن الأدب في إخفاء دعائه، فإنه أدخل في الإخلاص، وأبعد عن الرياء، وأقرب إلى الخلاص عن لائمة الناس، على طلب الولد في أوان الكبر.

٤٥ - (فإما ترين من البشر أحدا فقولي إني نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم إنسيا) إنما أمرت بذلك لكراهة مجادلة السفهاء، والاكتفاء بكلام عيسى عليه السلام فإنه نص قاطع في قطع الطعن، وفيه دلالة على أن تفويض الكلام إلى الأفضل أولى.

٤٦ - (لا يسمعون فيها لغوا) فيه تنبيه على أن اللغو مما ينبغي أن يجتنب عنه ما أمكن.

سورة طه:

٤٧ - (تنزيلا ممن خلق الأرض والسماوات العلى (٤) الرحمن على العرش استوى) وصفه بالرحمانية إثر وصفه بالخالقية، للإشعار بأن خلقهما من آثار رحمته تعالى، وفيه إشارة إلى أن تنزيل القرآن أيضا من أحكام رحمته.

٤٨ - (قال هي عصاي أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي ولي فيها مآرب أخرى) قيل: إنما فصّل ذلك تلذذا بخطاب رب الأرباب، والمقام مقام مباسطة.

٤٩ - (قال هم أولاء على أثري وعجلت إليك رب لترضى) فيه دليل على جواز الاجتهاد.

٥٠ - (إني خشيت أن تقول فرقت بين بني إسرائيل ولم ترقب قولي) فيه دليل على جواز الاجتهاد.

الجزء السابع عشر:

سورة الأنبياء:

٥١ - (لقد أنزلنا إليكم كتابا فيه ذكركم أفلا تعقلون) فيه بعث لهم على التدبر والتذكر في أمر الكتاب المبين.

٥٢ - (أولم ير الذين كفروا أن السماوات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي) في هذه الآية الكريمة دعوة إلى البحث العلمي في مجال الكون الفسيح ليستدل الإنسان على قدرة الله الباهرة في مخلوقاته.

٥٣ - (ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما) هذا يدل على أن خطأ المجتهد لا يقدح في كونه مجتهدا.

٥٤ - (فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه إنهم كانوا يسارعون في الخيرات) تعليل لما فُصّل من فنون إحسانه تعالى المتعلقة بالأنبياء المذكورين، أي: كانوا يبادرون في وجوه الخيرات، مع استقرارهم في أصل الخير، وهو السر في إيثار كلمة (في) على كلمة (إلى) المشعرة بخلاف المقصود، من كونهم خارجين عن أصل الخيرات.

سورة الحج:

٥٥ - (إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار) تصدير الجملة بحرف التحقيق إيذانا بمباينة حالهم لحال الكفرة، وإظهاراً لمزيد العناية بأمر المؤمنين.

٥٦ - (إن الله يدافع عن الذين آمنوا) هذه بشارة للمؤمنين بأن الله تعالى ناصرهم على أعدائهم، وصيغة المفاعلة للمبالغة، أي: يدافع عنهم مرة بعد أخرى حسبما تجدد منهم الإضرار بالمسلمين.

٥٧ - (ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا) أي ذكراً كثيراً، وهي صفة مادحة للمساجد، خصت بها، دلالة على فضلها وفضل أهلها.

٥٨ - (الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور) وصف من الله عز وجل للذين أخرجوا من ديارهم، بما سيكون منهم من حسن السيرة عند تمكينه تعالى إياهم في الأرض، منبئ عن عِدة كريمة، على أبلغ وجه، وعن عثمان رضي الله عنه: "هذا ثناء والله قبل بلاء" .. وفيه دليل على صحة أمر الخلفاء الراشدين؛ لأن الله عز وجل أعطاهم التمكين ونفاذ الأمر مع السيرة العادلة.

الجزء الثامن عشر

سورة المؤمنون:

٥٩ - (والذين هم للزكاة فاعلون) يدل على المداومة، بخلاف: مؤدون.

٦٠ - (وعليها وعلى الفلك تحملون❖ ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه) في إيراد قصة نوح عليه السلام إثر قوله: (وعلى الفلك تحملون) من حسن الموقع ما فيه، إذ كانت نجاته ونجاة المؤمنين معه بواسطة الفلك.

٦١ - (يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا) تقديم قوله: (كلوا من الطيبات) كالدلالة على أن العمل الصالح لابد أن يكون مسبوقا بأكل الحلال الطيب.

٦٢ - (إنه لا يفلح الكافرون) بدأت السورة الكريمة بتقرير فلاح المؤمنين، وختمت بنفي الفلاح عن الكافرين، ليظهر التفاوت الكبير بين الفريقين.

سورة النور:

٦٣ - (لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا وقالوا هذا إفك مبين) فيه عتاب شديد، وزجر بليغ؛ فإن وصف الإيمان يحملهم على إحسان الظن بالمؤمنين، فإخلالهم بموجب ذلك الوصف أقبح وأشنع، أي كان الواجب أن يظن المؤمنون والمؤمنات أول ما سمعوه خيرا، فإن مقتضى الإيمان ألا يصدق مؤمن على أخيه سوءا ممن اخترعه بالذات أو بالواسطة من غير تردد.

٦٤ - (ولا يأتل أولو الفضل منكم..) نزلت في شأن الصديق رضي الله عنه.. وكفى به دليلا على فضل الصديق وشرفه.

٦٥ - (يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ويعلمون أن الله هو الحق المبين) لو تتبعت ما في القرآن المجيد من آيات الوعيد، لا تجد شيئا منها فوق هذا التشديد، وما ذاك إلا

لإظهار منزلة النبي صلى الله عليه وسلم وإبراز رتبة الصديقة في النزاهة عما نسب إليها.

٦٦ - **(ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون)** هي جامعة لأسباب الفوز والسعادة، وعن بعض الملوك أنه سأل عن آية كافية شافية، فتُليت له هذه الآية، لأنها جمعت أصول الإيمان والطاعة وأسباب السعادة.

سورة الفرقان:

٦٧ - **(وإذا ألقوا منها مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا)** لقد جمع الله على أهل النار أنواع البلاء، حيث ضم إلى العذاب الشديد الضيق، فإن الكرب مع الضيق، كما أن الرَّوح مع السعة، وهو السر في وصف الجنة بأن عرضها السموات والأرض.

٦٨ - **(لهم فيها ما يشاؤون)** فيه تنبيه على أن كل المرادات، لا تحصل إلا في الجنة.

الجزء التاسع عشر:

سورة الشعراء:

٦٩ - **(وإذا مرضت فهو يشفين)** نسب المرض إلى نفسه، والشفاء إلى الله تعالى، مع أنها منه تعالى جميعا، لمراعاة الأدب، كما قال الخضر عليه السلام: **(فأردت أن أعيبها)** وقال: **(فأراد ربك أن يبلغا أشدهما)**.

٧٠ - **(والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين❖ رب هب لي حكما وألحقني بالصالحين)** قد ابتدأ بالثناء على الله، وذكر بعد ذلك الدعاء، وفيه تنبيه على أن تقديم الثناء على الدعاء من المهمات.

٧١ - **(فكبكبوا فيها هم والغاوون)** **(هم)** أي: آلهتهم، **(والغاوون)** وفي تأخير ذكرهم رمز إلى أنهم رأوا آلهتهم المزعومة وهي تهوي إلى قعر الجحيم، ليشاهدوا حالها ومآلها.

الجزء العشرون:

سورة القصص:

١٠٦ - **(فجاءته إحداهما تمشي على استحياء قالت إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا)** تنكير **استحياء** للتفخيم.. وأَسندت الدعوى إلى أبيها، وعللت الجزاء لئلا يوهم كلامها ريبة، وفيه دلالة على كمال عقلها وعفتها.

سورة العنكبوت:

١٠٧ - **(وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به عِلم فلا تطعهما)** **(عِلم)** أي: بالألوهية، عبر عن نفيها بنفي العلم بها، للإيذان بأن ما لا يعلم صحته لا يجوز اتباعه، وإن لم يعلم بطلانه، فكيف بما علم بطلانه؟

١٠٨ - **(قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة)** التعبير عن الإعادة بالنشأة الآخرة، المشعرة بكون البدء نشأة أولى، للتنبيه على أنهما شأن واحد من شؤون الله تعالى، لا فرق بينهما إلا في الأولية والآخرية.

١٠٩ - **(ولما جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا إنا مهلكو أهل هذه القرية إن أهلها كانوا ظالمين)** حين ذكروا البشرى ما علّلوا، وعلّلوا الإهلاك؛ لأن ذا الفضل لا يكون فضله بِعِوض، والعادل لا يكون عذابه إلا على جُرم.

٧٢ - (ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بالحق لما جاءه) في (لما) تسفيه لهم، بأنهم لم يتأملوا فيه، بل سارعوا إلى التكذيب بدون تريث.

سورة الروم:

٧٣ - (فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون ❖ وله الحمد في السماوات والأرض وعشيا وحين تظهرون) قيل لابن عباس رضي الله عنهما: هل تجد الصلوات الخمس في القرآن؟ قال: نعم، وتلا هذه الآية

٧٤ - (فأقم وجهك للدين القيم) خاطب النبي صلى الله عليه وسلم ليعلم المؤمن فضيلة ما هو مكلف به، فإنه أُمِر به أشرف الأنبياء صلى الله عليه وسلم.

سورة لقمان:

٧٥ - (وإذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا كأن لم يسمعها كأن في أذنيه وقرا فبشره بعذاب أليم ❖ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم) جمع الجنات إشارة إلى أن الرحمة واسعة أكثر من الغضب.

سورة السجدة:

٧٦ - (وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون) فيه دليل على أن الصبر ثمرته إمامة الناس.

سورة الأحزاب:

٧٧ - (وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم) تخصيصهم بالذكر للإيذان بمزيتهم وكونهم من مشاهير أرباب الشرائع

وأولو العزم من الرسل، وتقديم نبينا صلى الله عليه وسلم عليهم للإبانة عن فضله الجليل وإمامته لجميع الرسل.

الجزء الثاني والعشرون:

٧٨ - **(ياأيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه ولكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث)** هذا أدبٌ أدّب الله به الثقلاء، فوردت الآية جامعة لآداب الضيافة والوليمة.

٧٩ - **(يوم تقلب وجوههم في النار)** تخصيص الوجوه بالذكر، لما أنها أكرم الأعضاء، ففيه مزيد تفظيع، فإن الإنسان يدفع عن وجهه الضربة اتقاء بيده، أو يطأطئ رأسه كي لا يصيب وجهه، وللك ذكر هنا الوجه تفظيعا وتشنيعا.

سورة سبأ:

٨٠ - **(ولقد آتينا داوود منا فضلا يا جبال أوبي معه والطير)** في تنزيل الجبال والطير منزلة العقلاء مطيعين لأمره تعالى، من الفخامة المعبرة عن عظمة شأنه تعالى ما لا يخفى، وإنما ذكر الجبال والطير؛ لأن الصخور للجمود، والطير للنفور، يستبعد منهما الموافقة، فإذا وافقاه فغيرها أولى، ثم من الناس من لن يوافقه، وهم القاسية قلوبهم، التي هي أشد قسوة من الحجارة.

٨١ - **(يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات)** ذكر في حق داود آلة الحرب، وفي حق سليمان عليهما السلام آلة السلم، وهي المساكن والمآكل، وذلك لأن دواد قتل الملوك الجبابرة، وهيأ لابنه الملك، وجمع له المال، فكان في زمانه العظمة بالإطعام والإنعام.

٨٢ - **(قل من يرزقكم من السماوات والأرض قل الله وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين)** ذكر تعالى في الهدى كلمة (**على**) وفي الضلال كلمة (**في**) لأن المهتدي

كمن ركب جوادا يركضه حيث شاء، والضال كأنه منغمس في الظلام لا يرى شيئا.

٨٣ - **(وهم في الغرفات آمنون)** فيه إشارة إلى دوام النعيم، فإن من تنقطع عنه النعمة لا يكون آمنا.

سورة فاطر:

٨٤ - **(من كان يريد العزة فلله العزة جميعا إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه)** بيان لما يطلب به العزة، وهو التوحيد والعمل الصالح، أي من أراد العزة فليعمل عملا صالحا فإنه هو الذي يرفع العبد ويشرفه.

٨٥ - **(ولا الظلمات ولا النور)** جمع "**الظلمات**" مع إفراد "**النور**" لتعدد فنون الباطل واتحاد الحق.

٨٦ - **(ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود)** الآية إشارة إلى علم طبقات الأرض.

سورة يس:

٨٧ - **(قيل ادخل الجنة قال يا ليت قومي يعلمون)** قال ابن عباس: نصح قومه في حياته، ونصحهم بعد مماته.

الجزء الثالث والعشرون:

١ - **(وإذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله)** عبر عنها بذلك ترغيبا في الإنفاق على منهاج قوله تعالى: **(وأحسن كما أحسن الله إليك)** فيه إشارة إلى أن البخل قبيح، وأبخل البخلاء من يبخل بمال الغير.

٢ - **(لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين)** جعلهم في مقابلة من كان حيا إشعارٌ بأنهم –لكفرهم وعدم تأملهم - أموات في الحقيقة.

سورة الصافات:

٣ - **(إنا كذلك نفعل بالمجرمين)** هذا يدل على أن لفظ " **المجرم**" المطلق مختص في القرآن الكريم بالكافر لقول سبحانه: **(إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون)**.

٤ - **(إنهم ألفوا آباءهم ضالين ❖ فهم على آثارهم يهرعون)** لو لم يوجد في القرآن آية غير هذه الآية في ذم التقليد لكفى.

٥ - **(فبشرناه بغلام حليم)** لقد جمع في بشارات ثلاث: بشارة أنه غلام، وحليم، وأنه يبلغ سن الرشد؛ لأن الصغير لا يوصف بذلك.

٦ - **(وبشرناه بإسحاق نبيا من الصالحين)** في ذكر الصلاح بعد النبوة تعظيم لشأنه، وإيماء إلى أنه الغاية لها، لتضمنها معنى الكمال والتكميل بالفعل.

٧ - **(فلولا أنه كان من المسبحين ❖ للبث في بطنه إلى يوم يبعثون)** فيه حث على الإكثار من الذكر، فمن أقبل على الله في السراء أخذ بيده عند الضراء.

سورة ص:

٨ - **(إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار)** إطلاق الدار للإشعار بأنها هي الدار الحقيقية، وإنما الدنيا معبر.

٩ - (متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب) الاقتصار على دعاء الفاكهة، للإيذان بأن مطاعمهم لمحض التفكّه والتلذذ، دون التغذي، فإنه لا جوع ولا عطش في الجنة.

سورة الزمر:

١٠ - (أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون) دلت الآية الكريمة على أن المؤمن يجب أن يكون بين الخوف والرجاء.. (قل هل يستوي) تنبيها على شرف العلم والعمل.. بدأ الآية بذكر العمل وختم فيها بذكر العلم، وهذا يدل على أن كمال الإنسان محصور في هذين المقصودين، وأنه تعالى نبه على أن الانتفاع بالعمل إنما يفيد إذا واظب عليه الإنسان.. وفيه تنبيه على أن من لم يعمل فهو غير عالم، وفيه ازدراء عظيم بالذين يقتنون العلوم ثم لا يعملون بها.

الجزء الرابع والعشرون:

١ - (وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها) جواب (إذا) محذوف للإيذان بأن لهم حينئذ من فنون الكرامات ما لا يحيط به البيان، وفيه دليل على أن أبواب الجنة تتح قبل مجيئهم..

سورة غافر:

٢ - (وقال موسى إني عذت بربي وربكم) صدّر كلامه **بإن** تأكيداً له، وإظهاراً لمزيد الاعتناء بمضمونه، وخص اسم الرب المنبئ عن الحفظ والتربية، وإضافته إليه وإلى قومه حثاً لهم على موافقته في العياذة، والتوكل عليه، فإن في تظاهر النفوس تأثيراً قوياً في استجلاب الإجابة؛ لأن الأرواح الطاهرة القوية إذا تطابقت على همة واحدة، قوي ذلك جداً، وذلك هو السبب الأصلي في أداء الصلاة بالجماعة.

٣ - (كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار) قالوا: كمال السعادة في أمرين: التعظيم لأمر الله، والشفقة لخلق الله، والتكبر كالمضاد للتعظيم، والتجبر كالمضاد للشفقة.

سورة فصلت:

٤ - (تنزيل من الرحمن الرحيم) نسبة التنزيل إلى (الرحمن الرحيم) للإيذان بأنه محقق للمصالح الدينية والدنيوية، وواقع بمقتضى الرحمة الربانية.

٥ - (نزلا من غفور رحيم) أي ضيافة وكرامة من رب العزة والجلال، وما يعطونه مما لا يخطر ببالهم كالنزل للضيف، فما ظنك بما بعده من الألطاف؟

الجزء الخامس والعشرون:

سورة الشورى:

٦ - (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير) عن علي رضي الله عنه قال: هذه أرجى آية للمؤمنين في القرآن؛ لأن الكريم إذا عاقب مرة لا يعاقب عليه ثانيا.

سورة الزخرف:

٧ - (وإنه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم) في الإقسام بالقرآن على علو قدره، براعة بديعة، وإيذان بأنه من علو الشأن بحيث لا يحتاج في بيانه إلى الاستشهاد عليه بالإقسام بغيره، بل هو كاف في الشهادة على ذلك، من حيث الإقسام به، كما أنه كاف فيها من حيث إعجازه.

٨ - (وإنا إلى ربنا لمنقلبون) فيه إيذان بأن حق الراكب أن يتأمل فيما يلابسه من المسير، ويتذكر منه المسافرة العظمى، التي هي الانقلاب إلى الله تعالى..

الجزء السادس والعشرون:

سورة محمد:

١ - **(والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد)** خص بالذكر مع اندراجه فيما قبله، تنويها بشأنه، وتنبيها على سمة مكانه من بين سائر ما يجب الإيمان به، وأنه أصل في الكل، ولذا أكد بقوله: **(وهو الحق من ربهم)** بطريق حصر الحقية فيه.

٢ - **(وأنهار من خمر لذة للشاربين)** إنما قال: **(لذة للشاربين)** لأن اللذة تختلف باختلاف الأشخاص، فرب طعام يتلذذ به شخص ويعافه الآخر.

سورة الفتح:

٣ - **(إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين)** في الآية لطائف: قال الله في الكافر: **"جعل"** وفي حق المؤمن: **"أنزل"** إشارة إلى أن الحمية في نفسها مذمومة، وبالإضافة إلى الجاهلية تزداد قبحا، وكانت مجعولة في الحال، وأما السكينة فكانت كالمحفوظة في خزانة الرحمة، فأنزلها الله، فهي حسنة، وإضافة **"الله"** فيها أحسن، فالله تعالى أنزل في مقابلة حمية الكافرين على المؤمنين سكينة .. فهو من فضل الله تعالى.

سورة الحجرات:

٤ - في هذه السورة إرشاد المؤمنين إلى مكارم الأخلاق.

٥ - **(وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين)** تقييد الإصلاح بالعدل، لأنه مظنة الحيف لوقوعه بعد المقاتلة، وقد أكد ذلك حيث قال: **(وَأَقْسِطُوا)** .. وفيها دلالة على أن الباغي

المقاتل، لا يخرج بالبغي عن الإيمان، وأنه يجب معاونة من بغي عليه بعد تقديم النصح والسعي في المصالحة، ولفظة «إن» إشارة إلى ندرة الوقوع بين المسلمين، وإلى أنه ينبغي أن لا يقع منهم، ولم يقل: منكم تبعيداً لهم عنهم، وقال ههنا (بالعدل) ولم يقل هناك فأصلحوا بالعدل، لأن الإصلاح هناك بإزالة الاقتتال، وذلك يكون بالنصيحة، أو التهديد والزجر، والإصلاح ههنا بإزالة آثار القتل من ضمان المتلفات وهو حكم، فقال: (بالعدل) لئلا يؤدي إلى ثوران الفتنة بينهما مرة أخرى.

٦ - (ياأيها الذين ءامنوا اجتنبوا كثيرا من الظن) والكذب والافتراء هما في غاية القبح، فلم ينه عنهما اكتفاء بقوله: (ياأيها الذين ءامنوا) لأن وصفهم بالإيمان يمنعهم عنهما، وهما دأب الكافرين، وإنما منعهم عما يكثر وجوده في المسلمين.

الجزء السابع والعشرون:

سورة الذاريات:

١ - (قالوا لا تخف وبشروه بغلام عليم) فيه بشارة بحياته حتى يكون من العلماء النابغين.

سورة الطور:

٢ - (فويل يومئذ للمكذبين) فيه إشارة بأمان أهل الإيمان؛ لأنه لما قال: (إن عذاب ربك لواقع) ولم يبين بأنه موقعه على من؟ فلما قال: (فويل يومئذ للمكذبين) عُلم المخصوص به، فمن لا يكذب لا يعذب.

٣ - (يوم يدعون إلى نار جهنم دعا) يدل هذا على هول النار؛ لأن خزنتها لا يقربون منها، وإنما يدفعون أهلها إليها من بعيد.

سورة النجم:

٤ - **(والنجم إذا هوى)** في القسم بذلك على نزاهته صلى الله عليه وسلم عن شائبة الضلال والغواية من البراعة البديعة وحسن الموقع ما لا غاية وراءه، ومن شأن النجم أن يهتدي به الساري إلى مسالك الدنيا، كأنه قيل: أقسم بالنجم الذي يهتدى به إلى سواء السبيل.

٥ - **(ما ضل صاحبكم)** للإيذان بوقوفهم على تفاصيل أحواله الشريفة، وباتصافه بغاية الهدى والرشاد، فإن طول صحبتهم له صلى الله عليه وسلم ومشاهدتهم لمحاسن شؤونه العظيمة مقتضية لذلك حتما.

سورة الواقعة:

٦ - **(متكئين عليها متقابلين)** وصف لهم بحسن العِشرة ومنتهى الأخلاق والآداب، أي أن أحدا لا يستدبر أحدا.

٧ - **(في سدر مخضود ❖ وطلح منضود)** كأنه شبّه ومثّل حال السابقين في التنعم بأكمل ما يتصور لأهل المدن، ومثّل حال أهل اليمين بأكمل ما يتصور لأهل البوادي، إيذانا بالتفاوت بين الحالين.

٨ - **(هذا نزلهم يوم الدين)** أي: الذي ذكر من العذاب هو ضيافتهم، فإذا كان نزلهم ذلكن فما ظنك بما لهم بعدما استقر لهم القرار في النار؟

٩ - **(ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون)** فيه دليل على صحة القياس.

الجزء الثامن والعشرون:

سورة المجادلة:

١ - **(قد سمع الله قول التي تجادلك)** في كلمة "**قد**" إشعار بأن الرسول صلى الله عليه وسلم والمجادلة كانا يتوقعان أن ينزل الله تعالى حكم الحادثة، ومعنى "**سمع**" إجابة دعائها، لا مجرد علمه تعالى به... وهذه الواقعة تدل على أن من انقطع رجاؤه عن الخلق، ولم يبق له في مهمة أحد سوى الخالق، كفاه الله تعالى وفرج كربته.

سورة الحشر:

٢ - **(فاعتبروا يا أولي الأبصار)** في الآية دليل على جواز القياس.

٣ - **(والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا)** بيّن تعالى أن من جاء بعد المهاجرين والأنصار يذكرون السابقين بالدعاء والحمة، فمن لم يكن كذلك، بل ذكرهم بسوء كان خارجا من جملة أقسام المؤمنين بحسب نص هذه الآية، عن عروة قال: قالت عائشة رضي الله عنها: (يا ابن أختي، أمروا أن يستغفروا لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسبوهم، فأولئك شرار الخلق عند الله).

سورة الممتحنة:

٤ - **(لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم)** إذا نهى الله تعالى عن الظلم في المشرك، فكيف بالمسلم؟

سورة التغابن:

٥ - **(ذلك يوم التغابن)** تخصيص التغابن بذلك اليوم للإيذان بأن الخسارة الحقيقية إنما تكون في الآخرة، فيظهر حينئذ غبن كل كافر اشترى الضلالة بالهدى، وكل مؤمن بتقصيره في الإحسان.

سورة الطلاق:

٦ - **(لا تخرجوهن من بيوتهن)** إضافتها إليهن وهي لأزواجهن لتأكيد النهي، ببيان كمال استحقاقهن لسكناها، كأنها أملاكهن، وفيه دليل على أن السكنى واجبة لهن.

٧ - **(عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيبات وأبكارا)** فيه إشارة إلى أن تزوج النبي ليس على حسب الشهوة، بل على حسب ابتغاء مرضاة الله تعالى.

الجزء التاسع والعشرون:

سورة الملك:

١ - **(ليبلوكم أيكم أحسن عملا)** فيه من الترغيب في الترقي إلى معارج العلوم ومدارج الطاعات والزجر عن نواقضها.

سورة القلم:

٢ - **(وإنك لعلى خلق عظيم)** لما كانت أخلاقه الحميدة كاملة، وصفها الله تعالى بأنها عظيمة، وفيها دقيقة أخرى، وهي كلمة "**على**" للاستعلاء، فدل اللفظ أنه صلى الله عليه وسلم مستعل على خُلق عظيم.

٣ - (خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون) وفي هذا وعيد لمن قعد عن الجماعة.

سورة الحاقة:

٤ - (إنا لما طغى الماء حملناكم في الجارية) فيه تنبيه على أن مدار نجاتهم محض عصمته تعالى، إنما السفينة سبب صوري.

٥ - (وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة) إذا كان هذا حال الجبال فكيف بحال الرجال في ذلك اليوم العصيب؟

٦ - (إنه كان لا يؤمن بالله العظيم ❖ ولا يحض على طعام المسكين) ذكر الحض للإشعار بأن تارك الحض بهذه المنزلة، فكيف تارك الفعل؟، وتخصيص الأمرين بالذكر لأن أقبح الذنوب: الكفر بالله، وأشنع الرذائل: البخل وقسوة القلب، وفيه دلالة على عظم جرم حرمان المساكين، أنه تعالى عطفه على الكفر.

٧ - (رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات) هذا توجيه لكل مسلم أن يدعو بالمغفرة لنفسه، ولوالديه، ولجميع إخوانه من المؤمنين والمؤمنات.

٨ - (وأنا لا ندري أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشدا) نسبة الخير إلى الله دون الشر من الآداب الشريفة القرآنية.

سورة الإنسان:

٩ - (وسقاهم ربهم شرابا طهورا) هو نوع آخر يفوق النوعين السالفين، كما يرشد إليه إسناد سقيه إلى رب العالمين، ووصفه بالطهورية.

الجزء الثلاثون:

سورة النبأ:

١ - **(فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابا)** قيل: هذه الآية أشد ما في القرآن على أهل النار، كلما استغاثوا من نوع من العذاب أُغيثوا بأشد منه.

سورة التكوير:

٢ - **(وما صاحبكم بمجنون)** التعريض بعنوان المصاحبة للتنبيه على شناعة الافتراء، كأنه يقول: هذا الذي تزعمون أنه مجنون هو صاحبكم الذي صحبتموه أربعين سنة، وعرفتم عقله وفضله، فكيف تزعمون أنه مجنون؟ أفلا تعقلون؟

سورة الانفطار:

٣ - **(ياأيها الإنسان ما غرك بربك الكريم)** التعرض لعنوان كرمه تعالى، للإيذان بأنه ليس مما يصلح أن يكون مداراً لاغتراره حسبما يغويه الشيطان، ويقول له: افعل ما شئت فإن ربك كريم، قد تفضل عليك في الدنيا وسيفعل مثله في الآخرة، فإنه قياس عقيم، وتمنية باطلة، بل هو مما يوجب المبالغة في الإيمان والطاعة، والاجتناب عن الكفر والعصيان، كأنه قيل: ما حملك على عصيان ربك؟ وذكر الكريم للمبالغة في المنع عن الاغترار، فإن محض الكرم لا يقتضي إهمال الظالم، وتسوية المطيع والعاصي، فكيف إذا انضم إليه صفة القهر والانتقام!!.

٤ - **(كراما كاتبين❖ يعلمون ما تفعلون)** في تعظيم الكاتبين تفخيم لأمر الجزاء، وأنه عند الله من جلائل الأمور، حيث يستعمل هؤلاء الكرام، وفيه إنذار وتهويل للمجرمين، ولطف بالمتقين، وهي أشد آية على الغافلين.

٥ - **(وما أدراك ما يوم الدين)** قال ابن عباس: كل ما في القرآن من قوله: **(وما أدراك)** فقد أراه، وكل ما فيه قوله: **(وما يدريك)** فقد طوى عنه.

٦ - **(يأيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحا)** لما كانت كلمة "**إلى**" لانتهاء الغاية، فهي تدل على وجوب انتهاء الكدح والمشقة، بانتهاء الحياة، فنرجو من فضل الله تعالى أن يكون الانتهاء إلى السعادة والرحمة بعد الموت.

سورة الأعلى:

٧ - **(ثم لا يموت فيها ولا يحيى)** إنما قيل: "**ثم**" لأن هذه الحالة أفظع من دخول النار نفسها.

سورة الفجر:

٨ - **(فصب عليهم ربك سوط عذاب)** تسميته سوطا للإشارة إلى أن ذلك بالنسبة إلى ما أُعد لهم في الآخرة بمنزلة السوط عند السيف، والتعبير عن إنزاله بالصب للإيذان بكثرته واستمراره وتتابعه.

سورة التكاثر:

٩ - **(ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم)** الآية تهديد عظيم للعلماء، فإنها دلت على أنه لو حصل اليقين بما في التفاخر من الآفة لتركوا، فالويل للعالم الذي لا يكون عاملا بعمله.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، تقبل الله منا ومنكم، ورزقنا الإخلاص، وفهم كتابه والعمل به، وغفر الله لنا ولوالدينا وللمؤمنين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.